بغداد أقرب من حبل الوريد

أسبوع المدى الثقافي بأربيل احياء لأواصر قوضتها الكراهية

(١-٢)

رشيد الخيون

تغيرت اشياء كثيرة في الطريق الى اقليم كردستان العراق، ففي اكتوبر ٢٠٠٠ كان عبور دجلة الى ضفة فيشخابور عبر القامشلي يشبه عبور الانصار المقاتلين او المهربين، يجري بتسلم وتسليم، وكان محمد مهدي الجواهري موضوع الحديث، عندما اراد الكرد الاحتفاء بمئويته، وكان تنافس جرى بين اربيل والسليمانية آنذاك، حيث الحدود بين المدينتين لا تسمح بمرور حقيبة او حتى طائر يطير، ومع ذلك كان للخريف طعمه في كلتا الحاضرتين، مع مخاوف عالقة بالذاكرة، فسلطة البعث ما زالت قائمة، وتمتد حتى باعذرة من قرى الشيخان على تخوم دهوك، وجلبجة ليس فيها غير اشباح موتى، وما زالت رائحة غاز الخردل آنذاك طرية. مدينة احالها الموت الطائر الى عدم، يخترقها الفزع ويهيمن عليها لون تراب المقابر، تراها مزرعة لشواهد القبور، تدعم فاجعتها الحية الكراهية للذئاب الصادية، التي غرست انيابها في صرة بغداد آنذاك. مشاهد اخرى اكثر كآبة تحمل زائرها المخاوف من الموت الجماعي، الى جانب افراح زاهية بالدبكات، لكن هاجس تكرار الزحف بغاز الخردل لم يغادر القلوب.

بعد ستة اعوام (نيسان عام ٢٠٠٦) تغيرت اجواء الطريق الى اقليم كردستان العراق، ليس بسبب تبدل الفصول بين التاريخين، بل هناك بغداد اخرى، لا تصدر الخوف والفزع بقدر ما تحاول تحقيق الامن والسلام، رغم فواجعها ومشاهد الموت اليومي فيها اخذ الطريق يمر عبر المطارات لاعبر طرق الكفاح والتهريب الموحشة تنتظر في مطار عمان لائحة اعلان الرحلات، وتقرأ اسم اربيل والسليمانية وبغداد عليها وبعد سنوات طويلة من الهبوط تفرش طائرات الخطوط الجوية العراقية اجنحتها في الفضاء ينبهك الطيار: نطير الان فوق بحيرة الثرثار وملوية سامراء، متجهين من الغرب الى الشمال، ليس هناك خوف من انزال الطائرة في مطار صدام الدولي، مثلما حصل لهاربين من قبل، ان يكون طريق رحلاتهم بين عواصم العالم عبر بغداد، وتهبط الطائرة هبوطاً غير محسوب في جدول رحلتها، فتتحول الساعة الى قرن من الزمن.

كان السفر في طائرة الخطوط الجوية العراقية تجربة اولى، لان الخروج من العراق عبر المنافذ البرية كان اسهل واقل تدقيقاً من المطارات في الوثائق والوجوه، غير ان التجربة الاولى مع الطائرة العراقية جاءت بعد هبوط دام خمس عشرة سنة، وما توحيه تلك السنوات من كساد الخبرة، وكسل محركات الطائرات فكم تتضاعف المخاوف اذا ترك الطيار التنبيه من استخدام الهواتف النقالة ذات المخاطر على اتصالات الطائرة وشبكتها الكهربائية، واذا تركت المضيفة باب كابينة الطيار مفتوحاً على الركاب؟ ولا يبعث الصدأ على اجنحة الطائرة وهيكلها، والكراسي الرثة، سوى التسليم الى قدر محدق.

جاءت هذه التجربة بعد تجربة اخرى مع طائرة سورية طارت بالمحتفلين بمئوية محمد مهدي الجواهري من مطار دمشق الدولي الى مطار القامشلي المحلي، لكنها عشر دقائق، ويتحرك المضيفون بين الركاب شاحبي الوجوه، يطلبون ربط الاحزمة، ويعلن الطيار العودة الى مطار دمشق وكأن الدقائق سنوات عند احتساب المصير الحتمي بين انقاض طائرة علاها الصدأ. وما ان لامست عجلات الطائرة الارض حتى اعلن الطيار عبارة لو قالها والطائرة في الهواء لهوت القلوب من الصدور. قال: "الحمد لله على سلامتكم. عدنا لخلل فني" وبعد السؤال اختلفت الرواية، بين عطب بالمحرك، وبين خلع في زجاج شباك مقدمة الطائرة! وكلاهما من المهالك الحتمية التي لا نجاة فيها.

وبعد العودة الى دمشق لم يعترض احد على السفر في الباص الى القامشلي بل البعض لم يعترض حتى لو كانت الرحلة في قافلة من حمير. وعند المرور على السهل المدفون فيه الجواهري، شعر البعض انه يناديهم الى الموت لقد خفف الحادث من العبء على صاحب دار المدى فخري كريم، وكان المكلف بتنسيق الاحتفال بمئوية الشاعر فلم تعد هنالك حاجة الى جهود اقناع المثقفين في السفر عبر الباصات ليلاً، ولم تعد آلام الظهور ولا مخاطر السفر على القلوب قائمة كان المشهد حاضراً في الاذهان، ونحن في طائرة الخطوط الجوية العراقية بعد ست سنوات على تلك التجربة فأكثر الوجوه شاركت في الرحلتين.

هناك اختلاف في المشاعر بين زيارة اقليم كردستان العراق العام ٢٠٠٠ وزيارته العام ٢٠٠٦، شعرت في الزيارة السابقة ان هناك حاجزا ما بين العراق وكردستانه، ربما للعزلة القائمة آنذاك، والحماية الدولية، واستعداد بغداد للانقضاض على المكان في أية فرصة سانحة، لتعيد هيمنتها عليه، وربما جاء الامر انقاذاً لها، ان لا تتحمل أعباء ادارة ثلاث محافظات، وما تحويه الوديان والجبال من مقاتلين في هذه الزيارة كانت بغداد حاضرة بقوة ليس في القادمين من بغداد ومدن العراق الاخرى لحضور اسبوع المدى الثقافي، بل تشعرها في حركة المسافرين"، يحييك هذا قادماً من البصرة، ويودعك ذاك راحلاً الى الناصرية، وحركة الطائرات لا تتوقف، طائرات تحمل زواراً وبضائع طعاماً وكساء، لا سموم غاز الخردل وقنابل النابالم! وتسمع في خطابات مسؤولي الاقليم اسم العراق وبغداد كثيراً، وطرب الجميع لصدى اغنية: هربجي كورد وعرب رمز النضال.

توحي لك شوارع اربيل بانتفاضة على الخراب، وفسحة في الاسواق ليس للبضاعة فقط بل للكلام، فاذا اردت اذاعة أمر، او تستقصي حقيقة امر آخر عليك ارتياد الاسواق، فقد كانت يوماً من الايام تقوم بمهام الاذاعة ووسائل الاعلام الاخرى، لا يمر امر السلطان او اشهار أمر الا عبرها. يتحدث سائق التاكسي، وصباغ الاحذية وبائع المكسرات والجرائد عن رابطة بدأت تحيا بين اربيل وبغداد، سمعنا من افواه هؤلاء بعد ان القى الرئيس جلال الطالباني كلمته المؤثرة في الجلسة الاولى للبرلمان العراقي: لا نهدأ الا بعد ان تهدأ بغداد! وكأن خطاب الطالباني ذكرهم في المصير المشترك تسمرنا انا والشاعر رياض النعماني امام شاشة تلفزيون مغازة للملابس، لنسمع الخطاب الودي، والقلق في الوقت نفسه كنا نشعر بارتياح صاحب الدكان لتلك المشاعر قابل ذلك ان رئيس اقليم كردستان مسعود البارزاني قال بعد توقيع دستور الفترة الانتقالية: الان شعرت اني عراقي (بول بريمر، عام قضيته في العراق) ويعني بذلك الاعتراف بالمساواة في المواطنة وقد تحققت من ناحية الامامة، فلم تبق حكراً لقومية دون اخرى.

كان يشغلني امر بسيط في نظر زملائي وهو العثور على مجلد كتب! حيث حملت معي خمسة كتب تاريخية (الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر) ممزقة الاغلفة، وكان اعتزازي بها انها هدية من الصديق الفقيد العراقي اليهودي الاديب سمير نقاش ومن مكان الى آخر وصلت الى حافة قلعة اربيل حيث محلات المجلدين، والخطاطين، وكلهم يتحدثون العربية ومنهم من تعلم الصنعة ومارسها ببغداد من قبل. يقع دكان المجلد وسط مكتبات تبيع الكتب بدون تنسيق وتنظيم، قديمة وجديدة، وجدت لدى بائع الكتب نسختين مزورتين من كتابي "الأديان والمذاهب بالعراق"، لناشرين ايرانيين، اشتريتهما احتفاظاً بدليل فربما تمكنت من الشكوى لدى مرشد الجمهورية الاسلامية الايرانية آية الله علي خامنئي، على الرغم من انه رد على احد المشتكين بعبارة: وما هو الحق؟ لكن لم تكن الكتب وحدها بضاعة مزورة من ايران، بل شمل التزوير الصابون والشامبو والقمصان وسلعاً كثيرة اخرى ويكثر تواجد البضاعة الايرانية بالسليمانية عنه بأربيل، رغم ان باعة الكرزات والثياب والحلوى والحقائب الاربيليين يفاضلونك بين انتاج سوري وانتاج ايراني، مع تذكر اخير لبضاعة عراقية. تنبيك هذه الظاهرة ان هناك عمليات كبرى لغسل الاموال، تدخل بضاعة رديئة وتخرج عملات صعبة.

كانت ظاهرة غسل الاموال واحدة من نشاطات مؤتمر او اسبوع المدى الثقافي بأربيل، حضرت مداولة من مداولاتها، وشعرت، وانا الناقص علماً في الاقتصاد وادارة المال، بخطأ تصوراتنا عما يجري في داخل العراق وعن الخبرات التي انطلقت بعد كبت فظيع، فليس هناك خبير اقتصاد يتطاول بعلمه على علم حسين كامل وصدام حسين! عد الاقتصاديون والماليون المنتدبون في الندوة اكثر من طريق لغسل الاموال، والبضاعة المعروضة بفائض في اسواق اربيل والسليمانية، حيث معابر فسيحة من ايران، واحدة من تلك الطرق، ومنها الكتب المزورة: كتب علي الوردي، وعباس العزاوي، وعبد الرزاق الحسني، وانستاس ماري الكرملي، وجواد علي وغيرهم.

لكن الى جانب ذلك جعل الدكتور طه احمد عبد السلام، المدير التنفيذي لسوق الاوراق، الجرائم وسيلة اخرى لتمرير الاموال القذرة. اما المختص المصرفي الدكتور عبد الباقي رضا فقال: المصارف عادة هي بوابات استقبال الاموال غير النظيفة، وواحد من اهم القوانين المئة، التي اصدرها الحاكم المدني الامريكي للعراق بول بريمر هو قانون "المصارف وغسيل الاموال" كذلك الى جانب الجرائم والبضائع يأتي دور الارهاب في تمويل الاموال القذرة. ومع شيوع الاموال القذرة وعمليات غسيلها لم تكتشف حالة واحدة منها بالعراق، والاسباب كثيرة، ومنها التهديد المستمر للكادر الرقابي، ولما عُرف بمؤسسة النزاهة فما بين الاعدام على من امتلك مئة دولار في زمن النظام السابق الى هذا الانفتاح المالي، وبعملات دول العالم كافة.

وطرح الدكتور ابتسام نجم عبود، وهو مفوض بنك كردستان الحالي- تبدو كثرة الاسماء المشتركة للجنسين بالعراق فإضافة الى صباح وجمال وديار وغفران ولقاء هناك ابتسام ايضا- ان من آثار غسيل الاموال في البنوك العراقية عزف بنوك ومصارف العالم عن التعامل معها ومن امثلة الفوضى المالية ان سحب مبلغ ستة ملايين دولار دفعة واحدة، وان وزارة الدفاع في الحكومة المؤقتة وفرت خمسمئة مليون دولار ونقلتها في الاكياس الى لبنان لشراء اسلحة حسب ما ورد في الإدعاء ومهما كانت البضاعة: فرشة اسنان ومعجونها او بندقية واطلاقاتها فهي تهريب للعملة، طالما دخولها تم خارج الرقابة على النقد.

وفي ندوة اسبوع المدى ذاتها، وهي من الندوات التي حرصت على حضورها، قدرت المبالغ التي تغسل سنوياً في بنوك العراق برقم خيالي، وهو اربعون مليار دولار سنوياً واتمنى أن يكون المقدر مبالغاً، او شبه لي هكذا! وقد شبه الاقتصادي مكي محمد ردام سرقة الاموال وغسلها بقطعة اللحم، عندما ترمى للقطة تلتهمها، وعندما تقوم بسرقتها تحملها الى مكان بعيد فالاموال المسروقة لابد من ان تهرب الى الخارج.

بعد الاطناب عند قضية غسل الاموال حاول مدير المصارف الاهلية الاقتصادي عبد العزيز حسون "تلطيف المزاج بما يشبه شعر ابن الحجاج" (ت ٣٩١ هـ) حيث اورد قصة رواها له وزير المالية الاسبق امين عبد الكريم: ان احمد حسن البكر تبرع (ربما من مال أبيه) بمليون دولار الى دولة افريقيا الوسطى اثر زيارة ملكها بوكاسو لبغداد، الا ان الملك أصر على ان يسجل الشيك باسمه، بينما وزير مالية العراق سجله كما جرت العادة بأسم وزير المالية قال: وزير ماليتي سيسرقه! ورويت على هامش الندوة، نقلاً عن نوري المرسومي مدير دائرة المراسم آنذاك قصة عقيد ليبيا معمر القذافي انه قرر اثناء زيارته لبغداد ان يتزوج في ساعة متاخرة من الليل بإحدى مرافقاته ومعروف ان حمايته تتشكل من فصيل نساء ولاحضار مأذون شرعي اضطرت الدائرة الى احضار قارئ القرآن في مقبرة الغزالي ليقوم بمهام المأذون الشرعي.

كانت بوابات القاعات والفنادق، حيث يعقد اسبوع المدى، محاطة بعناصر الأمن، ولا تدخل عربة ولا تخرج الا بعد تحريك عتلة الحاجز الحديدي ونتوآته الحادة، التي تراها مشرعة كالرماح والنبال ومع تكرار عمليات التفتيش الدقيق للداخلين تحول رفع الايدي والاستسلام لأيدي المفتشين واجهزتهم بما يشبه الغريزة خلال ايام الاسبوع.

ضيفت قاعة ميديا، المنحوت اسمها من مفردة مادي، وهي بلاد الكرد، المثقفين الخمسمئة وتداولاتهم حول تأسيس كيان ثقافي اراده البعض محاكاة للمجلس الاعلى للثقافة بمصر، بل حاول تقمص حتى الاسم اعترض من اعترض على التسميات المصرية وحتى التشبه بها، لذا أقترح ان يكون اسم الكيان: الهيئة الثقافية العامة قال الاديب والاكاديمي عبد الإله احمد وهو يتصدر القاعة: "اقترح ان لا نكرس تسميات مصرية في ثقافتنا" وربما يعود عدم تحبيذ التسميات المصرية للفترة الناصرية وهيمنتها على السياسة العراقية منذ ٨ شباط ١٩٦٣ واستمرار الحقبة القومية ما قبل الحقبة البعثية وكان سفير الجمهورية العربية المتحدة امين هويدي يسمى سخرية من دوره وتدخله في الكبائر والصغائر بالمندوب السامي.

ضجت القاعة بالمناقشات والمكاشفات، ولما حيا المتحدثون العرب كردستان وارضها، عقب مدير ندوة اليوم الاول عبد الإله احمد بالقول: "لم تفتني تحية كردستان. لكن انا تجاوزت ذلك لاني اعتبر كردستان جزءاً من العراق لذا ما سمعته من فريدة النقاش انه تحية لكردستان لم يثر في الا انني ببغداد" استقبل تعقيب مدير الندوة بسرور، ولم يلاق اعتراضاً من الكرد، واظن لو حدث هذا قبل سقوط دولة البعث لاحدث ضجة وشغباً في القاعة.

جرى اكثر النقاش حول تأسيس صندوق دعم المثقفين، وحول هوية المال وهوية المتبرعين انقسم القوم الى صفين: صف أيد الأخذ من الدولة والاشخاص، لكن المهم ان لا تكون العطايا مشروطة، واضاف آخر وان لا تكون مشبوهة! اما الصف الاخر فيرى أن في اموال السلطة مفاسد للمثقفين والثقافة وان التبرعات من رموز السلطة مهما كانوا تؤدي الى التواطؤ وهنا تذكرت قولاً لأبي بحر الجاحظ (ت٢٢٥هـ): "كثرة المنفعة تولد المودة" وان مودة السلطة هي اشكالية بحد ذاتها.

طرح قلق من نوع آخر، قد لا يتعلق باسم رئيس جمهورية او رئيس وزراء ، بل باتجاهه السياسي والفكري وهو: هل سيستمر رئيس الجمهورية علمانياً وديمقراطياً؟ ومن قال: ان رئيس إقليم كردستان، الذي قيل انه سيدعم الصندوق بمبلغ جزيل عموماً فسر هذا القلق بالتشكيك، وان هناك مثقفين ليس لهم اشكال في التمويل الخارجي، لكنهم يشككون في التمويل الداخلي.

انبرى احد القصاصين بالقول: لماذا لا نأخذ من اموال الدولة؟ ألم تاخذ المفوضية العليا للانتخابات، وسربت مما اتاها اموالاً طائلة بلا حساب! هكذا في كل مؤتمر او تجمع ثقافي يكرر الجدل حول عفة المثقف بعد جدل طويل ارتفع صوت يهدم كل ما حاوله المجتمعون من الاستقلال عن الدولة قال: يتأسس مجلس ثقافي عبر مجلس النواب! بطبيعة الحال، ربما لم يقصد صاحب الفكرة الدورة الانتخابية الحالية ولا التي بعدها، لان مجلس النواب، بأغلبيته لاشأن له بالثقافة، وهو هيئة سياسية تشرع قوانين وتراقب الحكومة، فمالها ومجلس الثقافة، وجدل المثقفين، ونواديهم المشبوهة بالموبقات حسب ظن عدد من النواب المتدينين، وما اكثرهم في مجلس النواب! ثم علا صوت آخر، قدم العربة على الحصان، وهو اقتراح ان يكون صاحب دار المدى الاستاذ فخري كريم رئيساً لمجلس الثقافة! ولم يفت الأديب مالك المطلبي ان يرد الاقتراح بشيء من التنبيه: لنتفق على المشروع اولاً ثم نتحدث عن الرئيس. حسم فخري كريم الامر بالقول: لم أرشح نفسي، وانا صاحب المدى وكفى.

دفع التشكيك بالتبرعات وبالدولة، والإكثار من التشاؤم بالمخاوف الروائي فؤاد التكرلي الحث على التفاؤل والابتعاد عن الاحباط قدر المستطاع. قال"ما ان تبرع رئيس الجمهورية حتى فكر احدهم ماذا يحدث لو انقلب الرئيس ضد الديمقراطية؟ علينا ان نبدأ بخطوة جادة وشجاعة". أقول : اذا لم يخرج المؤتمر بشيء فانه خرج بشعور المثقفين العراقيين بالحرية. وأردف المطلبي: "دخلنا هذه القاعة احراراً، وسنخرج منها احراراً ايضاً. ليس كما كان سابقاً تقفل علينا الابواب".

بعد ان هدأ الجدل حول تأسيس الكيان والاموال، وتم على ان لا تهدر كرامة المثقف، أثار مثقفون جدلاً آخر وهو قصة المربد واحوال البصرة، علا صوت: مربد البصرة هذا العام بلا شواعر ! رد آخر: عجباً كيف كانت الخنساء تقرأ شعرها؟ وطرح احتجاج على اتحاد الادباء، كيف يسعى رئيس الاتحاد الى مربد تحرم فيه الشواعر؟ عندها وقف الشاعر الفريد سمعان محتجاً ومصححاً: واقعة البصرة ليست هكذا. وان الاجواء الاجتماعية السائدة هناك لم تؤهل لمشاركة الشواعر بحرية وبلا قلق" . وقبل ذلك تحملت وزارة الثقافة مسؤولية عشرين شاعرة. وعندما سئل عما إذا كان الاتحاد يمارس الازدواجية بين تهميشه من قبل السلطة وبين التبرع له بعشرين مليون دينار عراقي من قبل رئيس الوزراء، وأوضح القاص جهاد مجيد بالقول: "لا علاقة للاتحاد بالعشرين مليون". ولخص الفريد سمعان موقف السلطة قائلاً: تجاهلتنا".

سمعنا في أماس شعرية، في اسبوع المدى، رثاء لمدن عراقية، كانت عامرة، ولم يبق منها لا رؤوس نخيل ولا عرائش اعناب، هجرتها حتى المياه، لفتت نظري قصيدة ياسين طه حافظ وهو يرثي مدينته مندلي، القاها ضمن أمسية شارك فيها شعراء من اجيال واحدة: حافظ، صلاح نيازي، محمد سعيد الصكار، صادق الصائغ، الأول من المتوطنين بالعراق، والثلاثة من المهاجرين أو المنفيين. ورغم شدة تركيزي الا انني لم اتمكن من مجاراة نبرة الشاعر المثقلة بالحزن، لهذا حفظت منها شذرات بلا تسلل:

مندلي.. النهر والطاحونة، وقد غاب كل شيء.. الربيع شحاذ أعرج.. الشجرات الكبيرة تحنو كالامهات مثلنا نحدق بعضنا ببعض ونأسى لهذا المصير.. مندلي تتساقط مثل الورق.. والرؤوس تنحني فوق جرح عميق .. أرى الماء يضحك من نفسه .. كلام تأكسد من زمن الموت، كلام يحاول ان يتنفس لا يستطيع.. واخيراً يصل الشاعر الى ذروة اليأس والشعور بمحنة الضحية: كل هذه البيوت مدججة وانا الهدف.. زمن الموت بيت القصيد.

كان سفح قلعة اربيل مزهواً بازهار شقائق النعمان الحمراء، وبتمثال مؤرخها المشهور ابن المستوفي احمد بن المبارك الأربلي (ت ٦٣٧هـ) صاحب كتاب "تاريخ أربل" جلس مهيمناً بعمامته على وسط المدينة، تعددت اسماء الحاضرة والمعنى واحد: أربل، أربيل، أرويل، أوليز، هوليز. اشارت جميعها الى قدم المكان، ونحته من مفردة أربلو- أيلو الاشورية، أي الاربعة آلهة، "وكانت موطناً لعبادة الالهة عشتار" .

مهرجان الفيلم العربي في روتردام
نجاح تنظيمي وأبداعي وحضور متميز للسينما العراقية والعربية

روتردام / عبد العليم البناء

اذا كانت الدورة السادسة لمهرجان الفيلم العربي في روتردام التي حضرت فعالياتها بين٣٠/٥ و٤/٦/ ٢٠٠٦قد انهت المرحلة الاساسية والمهمة من انعقادها في هذا العام بانتظار بقية الحلقات المكملة للمهرجان المتمثلة بدورة المدن التي عرضت فيها عدة افلام روائية وقصيرة وكذلك وثائقية قصيرة وطويلة وفي ثلاث مدن مهمة هي امستردام ولاهاي واوترخت واستمرت من التاسع ولغاية الحادي والثلاثين من حزيران الماضي فضلا عن دورة الاحياء التي شملت خمسة احياء كبرى من مدينة روتردام هي: سنترود، مورد، دلفسهافن، فيلورد، شارلوس..

إن هذا المهرجان العربي المهم انطوى على اكثر من اهمية انطلقت في الدرجة الاولى من مسألة اقامته في دولة اوروبية مما يعني تعريفا ومزجا للسينما العربية بمختلف مناشئها وانتماءاتها بالجاليات العربية المقيمة في هولندا اولا ومن ثم في اوروبا حيث بالامكان تسليط الضوء على الكثير من الهموم والقضايا والتطلعات العربية التي تمور بها البلاد العربية وتتفاعل على اكثر من صعيد.. وهذا بدوره انعكس على نوعية ومستوى وطبيعة الافلام المشاركة سواء من داخل اوروبا او من داخل البلاد العربية مما وفر ارضية صالحة للحوار الجاد والمثمر وتلاحم وتفاعل التجارب بين السينمائيين العرب من داخل وخارج اوروبا سواء عبر الاطلاع على تجارب ورؤى بعضهم البعض ام عبر الحوار المباشر وتبادل الخبرات بمختلف انواعها.

وفي هذا السياق فأن اقامة مثل هذا المهرجان واستمرار انعقاده منذ اكثر من ست سنوات تشكل اهمية بالغة انطلاقا من الاصرار والتحدي الذي تميزت به الهيئة الادارية والهيئة المنظمة للمهرجان وقدرتها على تجاوز الكثير من الصعوبات التي واجهت المهرجان فاستطاع ان ينال دعم الجهات الهولندية سنويا وفوق هذا وذاك فأن مهرجان الفيلم العربي في روتردام هو المهرجان العربي السينمائي الوحيد الذي يقام في اوروبا وينطوي على مسابقة ومنح جوائز قيمة للفائزين في هذه المسابقة على عكس المهرجانات العربية النظيرة التي لا تمنح سوى الشهادات التقديرية.. كما ان هذا المهرجان استطاع بمرور الوقت ان يستقطب الاسماء الفنية المهمة والمميزة والمؤثرة في مسيرة السينما العربية هنا وهناك.. فقد حضر ملبيا الدعوة عدد كبير من الاسماء البارزة في مجالات الاخراج والتمثيل والنقد والصحافة والاعلام وادارة المهرجانات السينمائية.. وعلى هذا الصعيد حضر الفنان نور الشريف والمخرج المصري محمد خان الذي عرض له المهرجان فيلم الافتتاح(بنات وسط البلد) والمخرجة التونسية سلمى بكار التي عرض فيلمها(الخشخاش) او (زهرة النسيان) وبطلة الفيلم الفنانة ربيعة بن عبد الله والناقدان المصريان سمير فريد وصلاح هاشم والناقد العراقي عدنان حسين احمد وغيرهم..

الى ذلك فأن المهرجان استقطب العديد من الافلام الخارجة عن بيت الطاعة- اذا صح التعبير لاثارتها الكثير من الجدل او منع البعض منها من العرض في بلدانها كما هي الحال مع فيلم (ماروك) للمغربية ليلى مراكشي الذي اثار ضجة كبيرة في المغرب ومنع من العرض فيها وهكذا هو الحال مع الفيلم المغربي الاخر (الخبز الحافي)لرشيد بن الحاج.

ولعل برنامج قافلة السينما العربية الاوروبية التي احتوتها الدورة السادسة من المهرجان تقع على رأس قائمة الاضافات النوعية الجديدة والمتميزة للمهرجان وضمن مشروع مشترك يقوم على تعاون خمس مؤسسات سينمائية تنتمي الى خمسة بلدان عربية واوروبية هي مصر ولبنان والاردن وفرنسا وهولندا وتهدف الى تعزيز الحوار والتعاون الثقافيين بين ضفتي البحر الابيض المتوسط بالاعتماد على السينما هذا الفن العظيم الذي دافع باخلاص طيلة اكثر من قرن عن جميع القيم الانسانية النبيلة بين شعوب المنطقة التي انحدرت فيها الدول الى حروب وصراعات وازمات لا انسانية.. حيث عرض المهرجان مجموعة اعمال سينمائية متميزة وذات نكهة خاصة لمجموعة من المخرجين العرب الذين ولدوا وتربوا وتعلموا او عملوا في اوروبا وكانوا في كل الاحوال نتاج هذه الزيجة الصعبة المحمودة وغير المقصودة بين مجالين حضاريين بالقدر الذي هما في حقيقة الامر اقرب ما يكونان لبعضهما واكثر ما يكونان تاثيرا وتاثرا فيما بينهما، اذ ان المشهد الثقافي في اوروبا ولا يزال محتاجا الى دعم العديد من القوافل المحملة بالفنون والجمال (بفتح الميم) والحضارة.. فالقوافل كما يقول مدير المهرجان خالد شوكات- التي يصدرها بعض العرب النائمين الى الغرب محملة بالمحن والحقد والموت والذين يدفعون ثمن البضاعة هم اصدقاء ممكنون ومتعاطفون واعدون مع همومنا وقضايانا وحقوقنا..

الى ذلك فأن لجنة التحكيم للافلام الروائية الطويلة والقصيرة ترأسها جورج سلاوزر الذي يعد اكبر مخرج وكاتب سيناريو ومنتج هولندي على قيد الحياة وهو المخرج الهولندي الوحيد الذي لم يقبل بهيمنة النخبة السينمائية في هوليوود و الى جانبه ضمت اللجنة الفنانة المصرية المعروفة سميرة عبد العزيز اضافة الى بلينذا فاندوخراف واسماعيل فروخي المغربي الذي سبق ان اخرج عدة افلام قصيرة وطويلة كان من بينها فيلمه الروائي الطويل(الرحلة الكبرى).. في حين ترأس لجنة تحكيم الافلام الوثائقية المخرج الهولندي بوب فيسر الذي تميز في اعماله كلها بأسلوبه المميز وشركة انتاجه حيث كان الاسلوب المميز له المزج المثير لتقنيات الرسوم المتحركة والحركة الحقيقية والشاشة الزرقاء وملفات الارشيف في برنامج واحد.. فضلا عن الصحفية والناقدة السينمائية اللبنانية هدى ابراهيم التي سبق لها ان عملت عضوا في لجنة اختيار تحكيم الافلام في بينالي السينما العربية في باريس والى جانبها كان مصطفى الحسناوي من تونس وهو الفنان متعدد المواهب الذي حاول المزاوجة بين تجربته الابداعية بين التصميم والموسيقى والمسرح والاوبرا والادب..

اما على صعيد السينما العراقية فأن حضورها في هذه الدورة كان واضحا كما هو الحال في الدورات السابقة لكنها حظيت في هذه الدورة وللمرة الاولى بجائزة الصقر الذهبي للافلام الوثائقية عن فيلم (ايام بغدادية) للمخرجة الشابة هبة باسم خريجة كلية الفنون الجميلة واحدى طالبات كلية السينما والتلفزيون المستقلة في بغداد التي اسسها بعد سقوط نظام صدام الفنان المخرج قاسم عبد والافلام الاولى التي انجزها طلبة هذه الكلية كانت في كانون الاول عام ٢٠٠٥ (ايام بغدادية) هو الفيلم الاول الذي اخرجته هبة باسم وفيه قدمت قصتها يوم كانت في كركوك حيث تعود الى بغداد بعد الحرب لتواصل دراستها في اكاديمية الفنون الجميلة.. الفيلم هو تسجيل ليومياتها خلال عام كامل حاولت ان تجد فيه محلا للسكن وفرصة للعمل، تتخرج هبة من الكلية ثم تواجه العديد من المشكلات العائلية والاجتماعية وتكافح من اجل التوصل الى صيغة مصالحة مع وضعها كأمراة لها كيانها الخاص..

وشاركت عدة افلام عراقية اخرى من داخل وخارج العراق من بينها الفيلم الروائي القصير(زيارة الى الجنة) للمخرج مقداد عبد الرضا و(العراق: اغاني الغائبين) لليث عبد الامير و(احلام) لمخرجه محمد الدراجي الذي كان متوقعا ان يحصد جائزة اول فيلم لمخرجه اسوة بما فعله عدي رشيد في فيلمه(غير صالح) الذي شارك في الدورة السابقة (الخامسة) و(ملون في زمن الحرب) لكاظم صالح فرج و(حاجز سوردا) لقاسم عبد و(بوتريت للغائب) لحميد حداد و(بازوليني) لعرفان رشيد.

اخيرا فأن المهرجان واسوة بالمهرجانات النظيرة لم يتقاعس وكما في كل دورة عن الاحتفاء بنخبة من السينمائيين العرب وفي هذه الدورة كان التكريم من نصيب الفنان والمخرج ناصر خمير الذي للاسف الشديد وبسبب من مرضه لم يحضر للاحتفاء به فضلا عن تغيبه عن المشاركة في لجنة تحكيم الافلام الروائية وهو كاتب وسينمائي وشاعر ورسام ويتسم عالمه السينمائي بالشيء المفقود ابدا وهذا واضح خاصة في (حكاية بلاد ملك ربى) و(الغولة) و(الهائمون) وغيرها ولا يزال نص الف ليلة وليلة يستحوذ على لبه فهو نص مؤسس وذو قيمة لا تنضب بالنسبه له، كما كان هذا التكريم من نصيب الديكورست المصري صلاح مرعي الذي يميزه ايقاعه الخاص الذي بموجبه يعيد ترتيب التفاصيل الصغيرة لا لكي يوهم بأنها حياة بل ليبث في المنظر الاحساس بالحياة وروحها الخاصة من خلال معايشته للسيناريو قبل الكتابة او اثناء التجهيز ولا ينتهي مع دورة الكاميرا بل انه يحب الممثل ويعيد رسم ابعاد المنظر لتبدو الحركة فيه اقرب الى الواقع.. ومن ابرز اعماله(الجوع) والمومياء والمتمردون واغنية على الممر ومبروك وبلبل وزيارة السيد الرئيس وعفاريت الاسفلت \التي كانت هي وغيرها سينما بايقاع خارج حدود الاستهلاك السريع.

وهكذا كانت الدورة السادسة من مهرجان الفيلم العربي في روتردام مميزة وحافلة بالجديد والمهم من الانتاج السينمائي العربي في داخل وخارج العالم العربي.

فلنشد على ايدي صناع هذه التظاهرة السينمائية العربية وفي مقدمتهم د. خالد شوكات مدير المهرجان وانتشال التميمي المدير الفني لهذا المهرجان المفخرة..